

العولمة و تهافتها الثقافية

دكتور شمسى واقف زاده

استاديار و عضو هيات علمى دانشگاه آزاد اسلامى واحد ورامين - پيشوا

تاريخ پذيرش: ۱۳۸۹/۱۲/۲۰

تاريخ دريافت: ۱۳۸۹/۱۱/۱۳

المخلص

ماهى العولمة؟ هل العولمة ظاهرة حضارية، تاريخية، ام اقتصادية، سياسية؟ هل هى حركة موضوعية لا سبيل الى التخلص منها ام هى حركة سياسية لنا فيها حرية الاندماج، أو التجنب والمقاومة؟ ما القوة فيها و ما الضعف و ما السلبيات التى تنتج عنها ماهى العلاقة العولمة بالثقافة؟ أهى عولمة ثقافية ام اختراق ثقافى؟ لمحاولة الاجابة عن هذه الأسئلة و غيرها سننظم الحوار وفق محاور تالية:

- مفهوم العولمة لغةً و اصطلاحاً

- نشأة العولمة و ماهيتها

- الفرق بين العولمة و العالمية

- الآثار الثقافية والدينية و الاجتماعية للعولمة

- كيفية امكان أن نتعلم و نجتنب مخاطرها

الكلمات الرئيسية: العولمة، العالمية، الثقافة، التهافت.

المقدمة

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية و ظهور قطبين كبيرين عالمية هما الاتحاد السوفيتى و الذى كان يتبنى المذهب الشيوعى، والولايات المتحدة الامريكية التى كانت تتبنى المذهب الرأسمالى، بدأت بوادر صراع جديد بين هذه الدول على اثر تقسيم ألمانيا، فظهر مايسمى "بالحرب الباردة" و التى انتجت سباق التسلح فيها بين الدولتين، و محاولة كل منهما بسط نفوذه على مناطق و دول اقليمية اقل شأنًا. حتى جاء العام ۱۹۶۱ م حيث التقى الرئيس الامريكى (كندى) و الرئيس السوفيتى (خروتشوف) فى «فيينا» و اتفقا على انتهاء الحرب الباردة. غير أن امريكا كانت تريد القضاء نهائياً على روسيا الاشتراكية و لذلك اعلنت حرب

النجوم و سباق التسلح، و استجابت روسيا لهذا السباق و هذا الصراع الى أن انتهى، بسقوط الاتحاد السوفيتي و انهياره و تفككه و كان طبيعياً أن تعتبر أمريكا هذا الانهيار و السقوط انتصاراً للمبدا الرأسمالي بوصفه نظاماً طريقه عيش و انتصاراً سياسياً لها. حتى جاءت حقبة التسعينات من القرن الماضي و خاصة بعد أحداث الخليج و التي أوجدت فرصة لأمريكا للتدخل في مناطق نفوذ حيث مركز العالم النفطى و الثروات الهائلة فاخذ الساسة الغربيون يطرحون افكارهم و آرائهم عن مستقبل العالم و نهاية التاريخ، فطرحوا فكرة النظام العالمى الجديد، و أخذت وسائل الأعلام الغربى تطرح لفظة العولمة. إنَّ العولمة هى وليدة النظام الرأسمالى و وليدة الفكر المادى لهذا النظام، و تعد مرحلة من مراحل التطور التاريخى للرأسمالية العالمية المتمثلة بأمريكا، اذ أنها بدأت مرحلة جديدة من الاستعمار و الهيمنة و التوسع خاصة بعد فترة التسعينات من القرن الماضى و الذى يمثل بداية الانطلاقه الحقيقية لفكرة العولمة و تبلورها كأطروحة تدعو لها الليبرالية الرأسمالية فى الغرب و انتهجت لها طريقاً خاصاً فى التطبيق من خلال الزحف باتجاهة الدول الفقيرة و النامية و السيطرة على اقتصادياتها و مواردها و ثرواتها عن طريق فرض الشروط و العقوبات كلى تفتح هذه البلدان أبوابها امام منتجات الغرب.

مفهوم العولمة:

(١) العولمة لغةً

يعتقد بعض الباحثين: أنَّ العولمة مصطلحٌ معرَّبٌ لم ينشأ أساساً فى البيئـة العربية، و لا يَد لفهم معناه من الرجوع الى مَنْ أطلقه وأشاعه و التعريف على مقصوده به قبل النظر فى الأصل اللغوى لكلمة العولمة فى اللغة العربية.

فالعولمة، ترجمة كلمة «mondialisation» الفرنسية، بمعنى: جعل الشئ على مستوى عالمى و الكلمة الفرنسية المذكورة أنما هى ترجمة «Globalisation» الانجليزية التى ظهرت اولاً فى الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى: تعميم الشئ و توسيع دائرته ليشمل العالم كـلّه (الجابرى، ١٩٩٨، ١٧-١٦).

كذلك يتعرض بعض الباحثين عن استخدام كلمة «عولمة» باعتبارها نشازاً فى اللغة، و يفضلون استخدام مصطلحات أخرى مثل: كوكبية و كونية لكن مجموعة أخرى من الباحثين لا يرون بأساً من استعمال كلمة العولمة فالوزن الصرفى «فـوعـل» من ابنية الموازين الصرفية

ك «حوقل» بمعنى ضعف و مصدره السماعي «حيقال» فما جرى على كلام العرب فهو من كلام العرب (الأسد، ١٩٩٧، ٤٣) و يقال ايضاً العولمة مصدرأً فقد جاءت توليداً من كلمة «عالم» و نفترض لها فعلاً هو «عولم، يعولم، عولمة» بطريقة التوليد القياسي.... (بمعنى: جعل الشيء عالمياً) و اما صيغة الفعللة التي تأتي فيها العولمة فإنما تستعمل التعبير عن مفهوم الأحداث و الإضافة، و هي مماثلة في هذه الوظيفة، الصيغة التفعيل. (شاهين، مجلة المعرفة، عدد ٤٨)

و يرى بعضهم: هذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، و الحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، و هي تدل على تحويل الشيء الى وضعية اخرى و معناها: وضع الشيء على مستوى العالم و أصبحت الكلمة دارجة على السنة الكتاب و المفكرين في انحاء الوطن العربي. (الجابري، ١٩٩٨، ١٣٥)

٢) العولمة اصطلاحاً:

إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد تعريفاتها، والتي تتأثر أساساً بإنتماءات الباحثين الايديولوجية و اتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً. يأتي الراضون للعولمة بتعاريف تجعلهم يبعدون كل البعد عما يروج له المؤيدون و بعض الباحثين ينظر الى العولمة من جوانبها الثقافية، بينما ينظر آخرون اليها من جوانبها الاقتصادية، في حين ينظر اليها بعض ثالث من جوانبها السياسية و على هذا الاساس فإن من نظر الى العولمة من جوانبها الاقتصادية فإنه سوف يعرفها اقتصادياً هي مظاهرها و آثارها الاقتصادية و كذلك يفعل من نظر اليها من جوانبها السياسية الثقافية و الاعلامية.

و من هذه التعريفات:

أ) «إنها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد و السياسة و الثقافة و الايديولوجيا و تشمل: إعادة الانتاج، و تداخل الصناعات عبر الحدود و انتشار أسواق التمويل و تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة و المجموعات المقيمة». (شومان، ١٩٩٨، ٤٠ و يسين، ١٩٩٨، ٢٦)

ب) نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على

المعلومات و الإبداع التقنى غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة و الحضارات و الثقافات و القيم و الحدود الجغرافية و السياسية القائمة فى العالم». (ابوزعور، ١٩٩٨، ١٣)

ج) «هى تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكى الغربى، و تعاظم آليات فرضه سياسياً و اقتصادياً و اعلامياً و عسكرياً، بعد التداعيات العالمية التى نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتى و سقوط المعسكر الشرقى أو هى محاولة لفرض الفلسفة النفعية المادية العلمانية و ما يتصل بها من قيم و قوانين و مبادئ و تصورات على سكان العالم أجمع». (المبروك، ١٩٩٩، ٩٩)

د) أن العولمة هى اتجاة الإنسانية نحو الرأسمالية و تحت سيطرة دول المركز و قيادتها و فى ظل سيادة نظام عالمى للتبادل غير المتكافىء». (يسين، ١٩٩٨، ٢٨)

ه) توحيد العالم، بمعنى محاولة الوصول الى مجتمع عالمى واحد تحكمه حكومة عالمية واحدة، و ثقافة رئيسة واحدة، و يشمل العولمة الاقتصادية و الثقافية و السياسية. (عبيدات، ٢٠٠٠، ٢١)

نشأة العولمة و ماهيتها

اختلف الباحثون فى التاريخ لنشأت العولمة على الأقوال المختلفة: يرى بعض الباحثون العولمة نشأت مع العصر الحديث و تكونت بما أحدثه العلم من تطور فى مجال الاتصالات و خصوصاً بعد بروز الانترنت. حيث يقال: «أن العولمة ظاهرة جديدة فما هى إلا امتداد للنظام الرأسمالى الغربى بل هى المرحلة الاخيرة من تطور النظام الرأسمالى العلمانى المادى النفعى، و قد برزت فى المنتصف الثانى من القرن العشرين نتيجة احداث سياسية و اقتصادية معينة منها: انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتى و الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦١ م ثم سقوط الاتحاد السوفيتى سياسياً و اقتصادياً عام ١٩٩١ م و ما أعقبه من الانفرد الولايات المتحدة الأميريكية بالتربّع على عرش الصدارة فى العالم المعاصر و انفرادها بقيادية السياسية و الاقتصادية و العسكرية و منها بروز القوة الاقتصادية من قبل المجموعات المالية والصناعية الحرة عبرة شركات و مؤسسات اقتصادية متعددة الجنسيات مدعومة بصورة قوية و ملحوظة من دولها». (ابوزعور، ١٩٩٨، ١٨)

وكذلك يقال: «أن العولمة نظام عالمى جديد له ادواته و رسائله وعناصره و جاءت

منجزاتها حصيلة تاريخية لعصر تنوعت فيه تلك التطورات التي ازدحم بها التاريخ الحديث للانسان بدءاً باستكشافه للعالم الجديد عند نهاية القرن الخامس عشر وصولاً لاستكشافه العولمة الجديدة عند نهايات القرن العشرين مروراً بانظمة وظواهر وانساق متنوعة كالاصلاحات الدينية والذهنية والسياسية والثورات الصناعية والراسمالية والاشتراكية والمرور بازمات وكوارث وصراعات وحروب اشعلتها الدول، هكذا تاتي فلسفة العولمة لتجسد حصيلة ما حفل به التاريخ الحديث للبشرية». (الجميل ٢٠٠٠، ٧٧)

و يرى فريق آخر العولمة ليست وليدة اليوم ليس لها علاقة بالماضي، بل هي عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل ترجع الى بداية القرن الخامس عشر الى زمن النهضة الأوروبية الحديثة حيث نشأت المجتمعات القومية فبدأت العولمة ببزوغ ظاهرة الدولة القومية عندما حلت الدولة محل الاقطاعية، مما زاد في توسيع نطاق السوق ليشمل الأمة بأسرها بعد أن كان محدوداً بحدود المقاطعة.

ولهذا أعتبر: « العولمة تراكمًا تاريخيًا و امرًا لم يكن مستحدثًا فهي صيغة طرحت قديماً بعدة اشكال وطرق فيقول: لقد بشر «نيتشة» بعولمة تقوم على اساس نقاء العرق واختطف تلك الفكرة النظرية «هتلر» الذي كان يسعى للعولمة بطريقة العرقية الخاصة ثم جاء «ستالين» بطريقة جديدة للعولمة عبر العلوم اللاهية، ثم تاتي العولمة اليوم بكونها: فكرة تجمع بين القوة و القدرة والرغبة والمناخ الملائم ليجعل اتباعها من انفسهم نموذجاً يحتذى اما بالفرض القسري واما بالتبشير المرغوب فيه فيصير العالم قرية كونية». (احمد سلامة، ١٩٩٩، ٣٧)

اما العولمة من وجهة نظر «برهان غليون» «فانها تتجسد في نشوء شبكات اتصال عالمية تربط جميع الاقتصاديات والبلدان والمجتمعات ليخضعها لحركة واحدة و يتمثل باندماج منظومات رئيسية:

١- المنظمة المالية عبر سوق واحدة راس المال و بورصة عالمية واحدة

٢- المنظمة الاعلامية والاتصالية

٣- المنظمة المعلوماتية التي تجسدها بشكل واضح شبكة المعلومات فالمقصود هو

الدخول في مرحلة من الاندماج العالمي العميق». (غليون، ١٩٩٩، ١٧-١٦)

ويلاحظ ان النظرات حول نشأة العولمة وتاريخها قد تعددت ولكن يقال في كتاب «

العولمة الاجتياحية « مرّ مصطلح "العولمة" بالمراحل التالية:

المرحلة الاولى وهى مرحلة التكوين، او مرحلة الجنينية: وهى المرحلة التى حدث فيها التردد فى المفهوم، بين مؤيد ومعارض وكانت محلّ نقاش وتفاوض وكان الفراغة اول من تبنى فكرة العولمة عمل على تحقيقه لانّ مصر الفرعونية كانت مركز الحضارات منذ اكثر من سبعة آلاف عام و كانت نقطة الاتصال والتواصل بين الحضارات وتمثلت مفاهيم العولمة والحضارات حينذاك فى "الفرعون" والفتوحات الفراغية المختلفة و تطور بعدها مفهوم العولمة واختلط بكل من مفهوم الغزو العسكرى لقائد تاريخى باهداف اقتصادية وسياسية ودينية ومذهبية، وتمثل ذلك فى الدول الفرعونية والامبراطورية الاغريقية الى الفتوحات الاسلامية فى عصور النهضة الاسلامية ومثل (الخلافة الاموية الاسلامية و العباسية والعثمانية) حتى الامبراطورية التتارية المغولية وعمليات الاستعمار والسيطرة على العالم التى قامت بها دول اوروپا، مثل (امبراطورية الامريكية و سيطرتها). (انظر، الخضيرى، ٢٠٠١، ٤٣-٤٠)

المرحلة الثانية وهى مرحلة الميلاد: وتمثلت بازالة الحواجز بين الدول المختلفة مما ساهم فى التقارب الفكرى بينها وسهل خروج ودخول رؤوس الاموال بينها، وحدث ذلك مع انتهاء دور منظمة "الجات" وبداية عمل منظمة التجارة الدولية. وترجع البدايات الاولى للمصطلح الى فترة الهدوء والوفاق التى سادت بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى فى السبعينات والثمانينات التى اعقبت الحرب الباردة بينهما.

والتي انتهت بتفكك الاتحاد السوفيتى والكتلة الاشتراكية فى التسعينات بانهياف سور برلين وتوحد الالمانيتين تحت ضغط الشعوب، فظهرت امريكا كقطب واحد عمل على نشر ثقافته واعلامه مما ادى الى زيادة الحديث عن العولمة ورضوخه لثلاث عوامل: انتشار المعلومات، تذويب الحدود، زيادة معدلات التشابه. (انظر المرجع السابق، ٤٨-٤٧)

المرحلة الثالثة وهى مرحلة النمو والتمدد: ان العولمة تعمل على ايجاد حضارة جديدة تاخذ من الحضارات السابقة ولكن بتكنولوجيا جديدة، وهى حضارية فكرية فى الدرجة الاولى قبل ان تكون سياسية واجتماعية واقتصادية وانسانية. (المرجع السابق، ٧٢)

الفرق بين العولمة والعالمية

انّ التقابل بين العالمية والعولمة وايجاد الفرق بينهما فيه نوع من الصعوبة وخصوصاً انّ كلمة العولمة مأخوذة اصلاً من العالم ولهذا نجد بعض المفكرين يذهبون الى انّ العولمة

والعالمية تعنى معنى واحداً وليس بينهما فرق، لأن مصطلح العالمية هو بالانكليزية UNIVERSALISM من كلمة UNIVERSAL وتعنى: العالمى، او الكونى، ومصطلح العولمة بالانكليزية هو GLOBALIZATION و اصله من كلمة GLOB وتعنى: الكوكب ولاسيما كوكب الارض وقد ترجم المصطلح فى البدء الى العربية بـ«الكوكبية» ولكن هذه الترجمة لم تنتشر و لم تستقر و شاعت الترجمة الحالية: «العولمة» وهى على وزن فوعل من العالم ولعل الخلط بين العولمة والعالمية راجع الى اشتقاقهما معاً من كلمة عالم. (صبرى، ١٩٩٧، ٤٥) ولكن هناك فرق كبيراً بين المصطلحين: فالعالمية يعنى ان ابناء هذا العالم بمختلف قبائله وشعوبه ولغاته وملله ونحله يعيشون على هذه الارض، فلا بد ان يتفاهموا فيما بينهم، تمهيداً للتعاون الدائم على خير الجميع، ولامانع من ان ياخذ بعضهم من بعض ولايجوز ان يفرض بعضهم على بعض لغته او دينه او مبادئه او موازينه: فالاختلاف فى هذا الاطار طبيعى و التعاون ضرورى ابداً لمنع الصدام و الحروب و العدوان.

وهذه العملية العالمية قد تسمى بالتناغم الحضارى بين الشعوب والامم وهى واقع البشرية منذ اقدم العصور الى اليوم فاللغات تلاحت والمجتمعات تعاونت والحضارات عبرت من مكان الى مكان.

«ان العالمية فى الاسلام تقوم على تكريم بنى آدم جميعاً واستخلافهم فى الارض وتسخير ما فى السموات والارض لهم جميعاً، والمساواة بينهم فى اصل الانسانية والتكليف والمسئولية واشتراكهم جميعاً فى العبودية لله تعالى وفى النبوة لآدم دون الغاء لخصوصيات الشعوب اما العولمة فهى فرض هيمنة الولايات المتحدة الامريكية على العالم كسيادة العالم من العبيد». (القرضاوى، مجلة الدعوة السعودية، العدد ١٩٢٧، ص ٥٢)

العالمية ارتبطت بالثقافة الاسلامية منذ بداياتها حين نزل قوله تعالى: «وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (انبيا: ١٠٧) وقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» (سباء: ٢٨) وقوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» (الاعراف: ١٥٨). ولكن هذه العالمية لم تدفع الامة المسلمة الى فرض ثقافتها بالقوة على الآخرين.

بل إن الثقافة الاسلامية تقر بالاختلاف الثقافى وتعدّه سنة الهية فى الامم والشعوب كما فى قوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» (هود: ١١٨) وان الله عزّ و جلّ كفل لغير المسلم الحرية فى البقاء على دينه

ومعتقده وقال تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (البقرة: ٢٥٦) وتاريخ البشرية عامة وتاريخ الاسلام خاصة لم يرد فيه دليل على ان المسلمين رسموا للبشرية طريقاً واحداً ووجهة واحدة وحكماً واحداً ونظماً واحداً وعالماً واحداً بقيادة واحدة بالاجبار والاكراه.

بل اعتراضوا بواقع الاديان واللغات والقوميات، عاملوها معاملة كريمة، بلا خداع ولاسفه ولا طعن من الخلف، ولذلك عاش في المجتمع الاسلامي اليهودي والنصراني والصابئي والمجوسي و سائر اهل الشرك بامان واطمئنان. واما الامم التي كانت تعيش خارج العالم الاسلامي، فقد عقدت الدولة الاسلامية معها موثيق ومعاهدات في قضايا الحياة المتنوعة. التوجيهية الاساس في بنا العلاقات الدولية في الاسلام قوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات: ١٣) اما العولمة يعني: «جعل العالم عالماً واحداً، موجها توجيهها واحداً في اطار حضارة واحدة ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبية» (عبد الجواد، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٥٢، ص٢) و «انها عملية اختراق كبرى للانسان وتفكيرية وللذهنيات و تراكيبها و للمجتمعات و انساقها، وللدول و كيائها و للجغرافيا و مجالاتها و للاقتصاديات و حركاتها و للشقافات و هويتها و للاعلاميات و تداعياتها» (الجميل، ٢٠٠٠، ٣٢). ويقال ايضاً «انها العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسية والثقافة و الايديولوجيا وتشمل اعادة الانتاج و تداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار اسواق التمويل و تمايل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة» (شومان، ١٩٩٨، ٤٠). وان العولمة «تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة والامة و الوطن، ويسميتها ايضاً بثقافة الاختراق، اختراق مقدسات الامم والشعوب في لغاتها ودولها و اوطانها و اديانها». (الجابري، ١٩٩٧، ١٤٧)

العولمة و التبادل الثقافي

ان العولمة منظومة متكاملة يرتبط فيها الجانب السياسي بالجانب الاقتصادي والجانبان معاً يتكاملان مع الجانب الاجتماعي والثقافي، ولايكاد يستقل جانب بذاته وعلى هذا الاساس فان العولمة الثقافية هي ظاهرة مدعومة دعماً محكماً وكاملاً بالنفوذ السياسي و الاقتصادي الذي يمارسه الطرف الاقوى في الساحة الدولية. «ان ظاهرة العولمة صارت تداخل بغير استئذان الى المجتمعات النامية وتفرض عليها نظاماً عالمياً جديداً للثقافة وللتبادل الثقافي، و

هو نظام قادر على النفاذ الى منظومات القيم و المبادئ و التراثات الشافية فى هذه المجتمعات و لأنه يملك قدرة النفاذ الصادم، فانه يثير ارتجاجات و اهتزازات صاعقة فى الشكل و المضمون ما يضعف فرصة التفاعل و الاستجابة الممثلة». (خصاونه، ٢٠٠٢، ١٨)

ان الحديث عن العولمة فى مجال الثقافة يستوجب تناول الموضوع من خلال تحديد مفهوم الثقافة؛ يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم التى تشير الكثير من المغموض و الجدل، وذلك لاسباب عديدة لعل اهمها التطور اللغوى و الفكرى للكلمة ذاتها سواء فى اللغة العربية او اللغات الاجنبية الاخرى، بالنسبة للغة العربية فان هذه الكلمة لم تكن متداولة فى الكتابات القديمة، حيث ظهرت بعد الاحتكاك بالمجتمعات الغربية حتى ان فعل «ثقّف» فى المعاجم العربية لا يتطابق مع الاستعمالات الجارية اليوم؛ فبعد استضافة هذه الكلمة عند دخوله الى فضاء الفكر العربى كان من الطبيعى ان يراجع كتّاب العرب المعاجم العربية و يتاثروا بتلك المعانى.

ما هى الثقافة؟

كما قلنا: لعلّ تعريف الثقافة اليوم هو من اكثر الامور تعقيداً فكثيراً ما نجد الكتّاب الذين يتعرضون لهذه المهمة وهم يقومون بجمع عشرات التعاريف المنشورة لهذا المصطلح، احد التعاريف الشائعة هو تعريف يصف فيه الثقافة بانّها «منظومة متكاملة، تضم النتاج التراكمى لمجمل موجات الابداع و الابتكار التى تتناقلها أجيال الشعب الواحد و تشمل بذلك كل مجالات الابداع فى الفنون و الآداب و العقائد و الاقتصاد و العلاقات الانسانية و ترسم الهوية المادية و الروحية للامة لتحديد خصائصها و قيمها و صورتها الحضارية، و تطلعتها المستقبلية و مكائنتها بين بقية الامم (حوات، ٢٠٠٢، ١٧٤). و يقال الثقافة هى: «مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التى يلقاها الفرد منذ ولادته فالثقافة على هذا هى المحيط الذى يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته» (بن نبى، ١٩٦٩، ١٢٥). و الثقافة ايضاً هى:

«المحيط الذى يعكس حضارة بعينها، و الذى يتحرك فى نطاقه الانسان المتحضر و هى مكونٌ للحضارة و لذلك فاذا تدهورت الثقافة لاسباب كثيرة فانّها تفقد وظيفتها الحضارية».

(المرجع السابق، ١٢٦)

وبهذا فانّ الثقافة ارث تاريخى يحمل الطابع المميّز لكلّ أمة، فهى غير قابلة للعولمة اذ انّ

محاولة عولمة اى ثقافة تعنى فى الحقيقة السعى الى بسط هيمنتها على الثقافات الاخرى إما بطمسها او تحييدها فى عدد من المجالات.

الفرق بين الثقافة والحضارة

كان المورخون للألمان اول من ميّز بين المفهومين، و تأسيساً على ذلك ظهرت الاعمال المختلفة التى اثارت العلاقة بين المفهومين وفى هذا الاطار يسرد «جى روشية» بعض الاطروحات التى ميّزت بين المفهومين، حيث يرى التمييز الاول فى الثقافة مجموع الوسائل الجماعية التى يمتلكها الانسان او المجتمع للتحكم والتاثير على البيئة الفيزيقية والعالم الطبيعى، وفى هذا اشارة واضحة الى العالم و التقنية وتطبيقاتهما. اما مفهوم الحضارة فيضم مجموعة الوسائل الجماعية التى يوتر بها الانسان على ذاته لتحقيق الارتقاء الفكرى و الاخلاقى و الروحى و من هنا تصبح الفنون والفلسفة والدين والقوانين بعض مظاهر الحضارة. (زمّام، ٢٠٠٩، فى موقع الانترنت)

اما التمييز الثانى فهو على عكس الاول؛ يخصّ الحضارة بجملة الوسائل التى يناط بها تحقيق غايات مفيدة ومادية للانسان ولذلك فهى تتسم بالعقلانية وهى السمة التى تتطلبها عملية تطوير الشروط الفيزيقية والمادية للعمل والانتاج والتقنية، اما الثقافة فهى تضم الجوانب الروحية الجماعية بوصفها ثمرة التفكير والمثالية. ففى حالات كثيرة يستخدم العلماء والمفكرون الكلمتين بنفس المعنى، وفى حالات اخرى ينصرف جهد البعض منهم على محاولة الوقوف على خصائص الثقافة، كالتاكيد على أنّها تكسب من خلال التعلم وأنّها بالتالى تعبّر عن «الارث الاجتماعى» (انظر، المرجع السابق). ويرى بعض الباحثين، أنّ الحضارة هى: «استمرار للتقدم التقنى لا الروحى، فى حين أنّ الثقافة هى سماوية وذلك بما تشتمل عليه من دين و فن واخلاق وفلسفة و ستظل تعنى بعلاقة الانسان بتلك السماء التى هبط منها، فكلّ شىء فى اطار الثقافة اما تأكيد او رفض او شك فى ذكريات ذلك الاصل السماوى للانسان». (بيجوفيتش، ١٩٩٤، ٩٤)

صراع الثقافات

والحضارة الانسانية، ليست الاّ كلاً واحداً لا يتجزأ فى جوهره و هى عبارة عن تراكم علمى و ثقافى للحضارات الانسانية المتعاقبة، التى تساعد كل منها فى نقل التجارب

والمعارف التي اقتبستها عن اسلافها بين الحضارات الاخرى وقامت بتوطينها والاضافة اليها، ثم توريثها للحضارات التي تعقبها لاستمرار المسار التصاعدي للحضارة البشرية. وعليه فانّ الصراع الذي كان ولا يزال قائماً بين معظم الجماعات البشرية منذ فجر التاريخ الحضارى للانسان وحتى اليوم، ليس الاّ صراعاً بين الثقافات، و هو مبنى على التباين والتضاد بين القيم والمعتقدات التي تقوم عليها، والتي تمثل بمجموعها الوعى الجماعى الذى يعبر عن هوية هذا المجتمع او ذاك و هى كما نعلم خصوصية ذات قيمة عالية لدى الفرد والمجتمع ومستمرة من الغريزة الانسانية فى التعبير عنها و الدفاع عن وجودها و استمراريتها. (الحمد، ١٩٩٩، ٦٤)

والغريب فى الامر انّ الصراع الثقافى لم يعد مقتصرأً فقط على ما هو قائم بين الدول النامية وتلك المتقدمة، بل بات الكثير من المثقفين والسياسيين فى الدول المتقدمة نفسها قلقون حيال الغزو الذى ينال من ثقافتهم المحلية، فدولة غنية و متقدمة لا تعدوا ان تكون سوى نملة صغيرة امام الفيل الامريكى الضخم (البكرى، ٢٠٠٠، ٢٥٠). حيث يقول ” روجية غاروردى“: انّ القوة الاقتصادية الامريكية تحسد القوة الثقافية الاوروبية فى محاولة منها للانفراد بالرفض و القطيعة، و باستخدام الابتزاز و الارهاب الفكرى يقوم الامريكىون باقحام ثقافتهم الرخيصة ضمن ما يسمى بالحدائث، فى الوقت الذى يقومون فيه بقذف رموزا لثقافة الاوروبية بالعبث والتخلف. (١٩٩٩، ١٠١)

ان كانت هذه الدول الاوربية التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الغربية التي تجد ضيراً فى فرض ثقافتها على بقية شعوب العالم و بكلّ ما تملكه من مقدرات ثقافية و حضارية و بشرية، تبنى كل منها تخوفها على ثقافتها المحليّة، امام غزو ثقافات الدول الصديقة التي تشاركها فى نهجها الحضارى، فيكف يكون اذن حال دول العالم النامى؟ و كيف يمكن لهذه الدول ان تدافع عن ثقافتها الوطنية، مع انشغالها بهمومها التنوية، وديونها الخارجية و صراعاتها من اجل البقاء؟

العولمة الثقافية

المقصود بها جعل الثقافة واحدة لكل العالم، و هذا يعنى مصادر عديدة مختلفة الثقافة و روافدها، تاتى من انحاء العالم المختلفة و تصب فى بوتقة واحدة، لتنصهر فتشكل كلاً واحداً،

ينفذ من كل الابواب، ويصل الى كل الانحاء وفي هذا تحدياً كبيراً، لثقافات قد تكون مغايرة و مختلفة عما سيأتيها، وقد تنساب بسهولة في مجتمعات وتعارض في مجتمعات اخرى وعلى اى الاحوال فان هجمة الثقافة المعولمة تتم بآليات ثلاثة (الخصيري، ٢٠٠١، ٣٤)، هي:

(١) ظهور الثقافة الوطنية و القومية بصورة مهزولة وضعيفة بسبب الانتصابات الداخلية والخلافات و التفكك، و ظهور الشروخ الحضارية المختلفة فيها لاسباب مختلفة منها ضعف الاعلام الوطنى و قوة الاعلام الغربى و ضعف الايمان بالثقافة الوطنية والثقة بها.

(٢) بناء تيار ثقافة العولمة من خلال ذوبان الثقافة والقومية تحت تاثير ثقافة العولمة، و اجتياحها بحيث تفقد الثقافة الوطنية ابرز خصائصها ومقوماتها.

(٣) ظهور معايير وجسور لنقل معايير القيم الوطنية الى الثقافة العالمية، بحيث تصبح الثقافات المختلفة روافداً للثقافة العالمية، و بما يتوقع لها ان تصبح اكثر مشمولية و تكاملاً بانتقالها من محيط ضيق هو الوطن الواحد الى محيط اوسع هو العالم، و بما يضمن احترامها و تقديرها من الشعوب الاخرى دون اندثارها وضياعها.

العولمة الثقافية قد دخلت الى كل مجتمعات عبر وسائل الاعلام المختلفة و الاتصال ، و هي منفتحة على انحاء العالم المختلفة، الغنى و الفقير، الثالث و المتقدم، لاتحدّها حدود و لا يمعنها عائق، فإى حدث ثقافى يحصل فى مكان معين فى العالم، تجده قد وصل الى الامكنة الاخرى و كنتيجة حتمية فأنه يصعب مقاومتها، و لا بدّ من قبولها كحقيقة واقعة توحد بين الاتجاهات المختلفة و الآراء. ولكن لا بدّ لنا من ان نتساءل: لمصلحة من هذا القبول ؟ وكيف لنا ان نحافظ على هويتنا الوطنية و عناصر ثقافتنا دون ان تسير نحو الغروب و الافول؟ (انظر زكى الناشف، لا تا، ٢)

عولمة ثقافية او اختراق ثقافى

يسمى بعض الباحثين العولمة الثقافية بالغزو الثقافى، لان الاستعمار لم يستهدف ابنية المجتمعات الاقتصادية والاجتماعية فحسب، بل تعدى الامر الى محاولة القضاء على ابنيتها الثقافية، خاصة منها القيم و الافكار القابلة للتجدد و الاستمرار و الداعية للمقاومة و غير ذلك من القيم الايجابية فقد جاء الاستعمار الى هذه البلدان لايبحث و التنقيب من المناجم و مواد الخام و عن التراث و هكذا يغدو التراث المعصرن او المهجّن معاصراً للعلاقات

الاجتماعية، الاقتصادية التي نشأت في عهد الاستعمار. (الزعيبي، ١٩٨٢، ٥٨)
يعرّف جلال امين الغزو الثقافي بوصفه «اعتداء رأسمالي على الهوية الثقافية للامة
المعتدى عليها، من اجل استغلالها، اقتصادياً، كما يمكن ان نصفها بأنها غزو دين لدين و
احلال ثقافة امة محل ثقافة اخرى» (١٩٩٨، ٥٠).

«إذا كان الاقتصاد العالمي المعاصر يسعى الى تعزيز سيطرته من خلال تحالف رأس
المال العالمي وتحطيم الحواجز القيمة و توحيد السوق العالمية، فإن القضية في المجال
الثقافي، تصبح في كيفية توظيف الاعلام و الثقافة في مجتمعات العالم الثالث لخدمة هذه
الاهداف، اي ترسيخ تبعيتها الاقتصادية بوضع امكانياتها الثقافية و الاعلامية في خدمة
مصالح راس المال العالمي واجهزته وتحويل العالم الى قرية اتصالية شديدة الترابط».
(مجاهد، ١٩٨٥، ٤٤)

وكذلك يرى هذا الباحثين انّ العولمة الثقافية هي: محاولة مجتمع ما تعميم نموذج
الثقافي على المجتمعات الاخرى، من خلال الاختراق الثقافي واستعمال العقول واحتواء
الخبراء.

الاهداف والآثار الثقافية للعولمة

لعلّ من اخطر اهداف العولمة ما يعرف بالعولمة الثقافية فهي تتجاوز الحدود التي اقامتها
الشعوب لتحمي كيان وجودها، وما لها من خصائص تاريخية و قومية وسياسية و دينية
ولتحمي ثرواتها الطبيعية والبشرية وتراثها الفكري الثقافي، حتى تضمن لنفسها البقاء
والاستمرار والقدرة على التنمية و من ثمّ الحصول على دور موثّر في المجتمع الدولي،
فالعولمة الثقافية تقوم على تسييد الثقافة الراسمالية لتصبح الثقافة العليا، كما أنّها ترسم
حدوداً اخرى مختلفة عن الحدود الوطنية مستخدمة في ذلك شبكات الهيمنة، العالمية على
الاقتصاد والاذواق والثقافة هذه الحدود هي: «حدود الفضاء والذي هو بحق وطن جديد
لا ينتمي لا الى الجغرافيا ولا الى التاريخ، هو وطن بدون حدود، بدون ذاكرة، إنّهُ تبنيه
شبكات الاتصال المعلوماتية الالكترونية». (الجباري، ١٩٩٧، ١٤٧)

إنّ العولمة لا تكنفي بتسييد ثقافة ما، بل تنفي الثقافة من حيث المبدأ وذلك لانّ الثقافة
التي يجرى تسييدها تعبر عن عداء شديد لايّ صورة من صور التميّز، انّ الثقافة الغربية تريد

من العالم اجمع ان يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية، كأساس لتطوره و كقيمة اجتماعية واخلاقية وبهذا فإنّ ما تبقى يجب ان يسقط، ما تبقى هنا هو «ليست خصوصية قومية بل مفهوم الخصوصية نفسه، وليس تاريخاً بعينه بل فكرة التاريخ وليس هوية بعينها و أنّما كلّ الهويات، وليس منظومة قيمية بل فكرة القيمة ليس نوعاً بشرياً، و أنّما فكرة الانسان المطلق نفسه». (المسيري، ١٩٩٧، ١٠٠)

من آثار العولمة في الهوية الثقافية

- تغريب الانسان المسلم وعزله عن قضاياها وهمومه الاسلامية وادخال الضعف لديه، والتشكيك في جميع قناعاته الدينية وهويته الثقافية (كامل بهاء الدين، لا تا، ٦٢).

- شيوع الثقافة الاستهلاكية

- اشاعة ما يسمى بأدب الجنس وثقافة العنف

- انتشار نوعية مميزة من الثقافة المادية والمعنوية الامريكية حيث سيطرت الثقافة الامريكية الشعبية على اذواق البشر فاصحبت موسيقى وغناء، مايكل جاكسون و تليفزيون، رامبو و سينما، دالاس هي الآليات و النماذج السائدة في مختلف انحاء العلم و اصبحت اللغة الانجليزية ذات اللكنة الامريكية هي اللغة السائدة. (احمد الفاوي، مجلة الاهرام، ٢٠٠١)

- انتشار الازياء والمنتجات الامريكية في كثير من الدول الاسلامية ؛ لانّ هذه السلع تحمل في طياتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافات الامم المستوردة لها و ظهور اللغة الانجليزية على واجهات المحلات و الشركات، وعلى اللعب و الهدايا و على ملابس الاطفال و الشباب.

- الازياء الاوربية و الامريكية قد كتبت عليها عبارات باللغة الانجليزية تحتوى على الفاظ و جمل جنسية مثيرة للشهوات و محرّكة للغرائز الجنسية و ايضاً لادينية تمس المشاعر و المقدسات و الاخلاق الاسلامية و تروج للثقافة الغربية التي تقوم على الاباحية و الحرية الفوضوية في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة. (المبروك، ١٩٩٩، ١٣٦)

الاهداف والآثار الدينية للعولمة

العقيدة الدينية هي الأساس الذي تقوم عليه كلّ ثقافة من الثقافات المعاصرة و القديمة، والدين هو أوّل مقوم بين مقومات الثقافة. فهو يحدّد لكلّ ثقافة شخصيتها و اتجاهها

المستقبل من خلال العقيدة التي تعتبر اهم العوامل الدافعة الى نشر ثقافة من الثقافات بغض النظر عن المسمى الذي تحمله، كالفلسفة، و النظام و النظرة الى الحياة و الايدلوجيا و بغض النظر كذلك عن كون هذه العقيدة سماوية في اصلها ثم لحقها التحريف، كاليهودية والنصرانية، او ارضية بشرية، كالليبرالية و العلمانية.

اما «العولمة آتية من مراكز دينها غير ديننا، بل هي قد تنكرت للاديان كلها و آمنت بالعلمانية التي لا تختلف كثيراً في نظر هولاء عن الفكر، و من ثم ففتح الابواب امام العولمة هو فتح الابواب امام الفكر، و الغزو هنا في الاساس ليس غزواً اقتصادياً، بل غزو من جانب فلسفة للحياة معادية للدين، و الهوية الثقافية المهددة هنا هي في الاساس دين الامة وعقيدتها وحماية الهوية معناها في الاساس الدفاع عن الدين». (امين، ١٩٩٨، ٤٦)

فمن اهداف العولمة الدينية هي

- تحويل المناسبات الدينية الى مناسبات استهلاكية
- التشكيك في المعتقدات الدينية وطمس المقدسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادى اللاديني الغربى، او احلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الاسلامية.
- استعباد الاسلام و اقصاؤه عن الحكم و التشريع و عن التربية و الاخلاق و افساح المجال للنظم و القوانين و القيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية و العلمانية. (المبروك، ١٩٩٩، ٩٦)

الاهداف والآثار الاجتماعية للعولمة

ان الثقافة العولمة، ثقافة مادية بحتة لامجال فيها للروحانيات او العواطف النبيلة، او المشاعر الانسانية، أنها تحمل العلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل والاهتمام بمصالح و حقوق الاخرين و مشاعرهم. فهي تشكل عالماً يجعل من الشح و البخل فضيلة و يشجع على الجشع و الانتهازية و الوصول الى الاهداف باى وسيلة دون ادنى التفات الى القيم الشريفة السائدة فى المجتمع. (كامل بهاء الدين، لا تا، ١٥٠)

فتناقض بذلك مع النظام الاسلامى الاجتماعى و الاخلاقى الذى اراد الاسلام فى ظله ان يبنى مجتمعاً نظيفاً مومنأً فاضلاً عفيفاً.

من آثار الاجتماعية للعولمة هي

- الفرد هو الاساس و مصالحه و رغباته هي المعيار، لا الدين و لا الامة و لا العائلة و لا التقاليد و لا العرف، و من حق الفرد التخلص من القيود التي تفرض من جانب تلك الجهات

- تتحدث عن ممارسة الجنس دون ان تفترض وجود زواج

- تستهجن الوثيقة الزواج المبكر لانه يودي - في نظرها - الى زيادة معدل المواليد

- الاجهاض

- استهجن الوثيقة الامومة المبكرة

- المساواة بين المرأة والرجل: تدعو الوثيقة الى المساواة التامة بين الطرفين، و حثت

المرأة على الغاء الفوارق الطبيعية بينها و بين الرجل (امين، ١٩٩٨، ١٣٣)

- زيادة معدلات نسبة الجريمة ليس في الدول النامية وحدها، بل في كل الدول الاوربية

الغنية

- زيادة معدلات الفقر و البطالة

العولمة و الشباب

لاشك ان هناك صراعاً كبيراً بين ما درج المتقف عليه و تربي ما يحيط به الان و المطلوب منه، و هذا الصراع يمثل ازمة وجود حقيقية، بين الماضي و الحاضر، الاصاله و المعاصرة، قد تدفع به اللهات و راءها لكيلا يقال عنه رجعي و متزمت، او للمحافظة على تراثه و ثقافته ليقال عنه اصيل محافظ على هويته و حضارته... .

يعيش الشباب بين مد و جزر تتجاذبهم قوى مختلفة، فهم في صراع و حيرة بين الماضي الذي ينقله لهم آباؤهم و اجدادهم و المتمثل في العادات المختلفة و القيم، و الاتجاهات و انماط الحياة المتخلفة و بالذات الدينية، و الطلب منهم المحافظة عليها و الالتزام بها، مراعاة لمورثهم الحضارى و تلبية لآبائهم و احتراماً لهم و بين ما يبيت لهم في غالب وسائل الاعلام و خاصة القنوات الفضائية الواسعة التعدد و الانتشار و التي تضعهم في جو اللهو و اللعب و الاباحية التي تصل حد الابتذال و ابعادهم عما اعتاد عليه اهلهم من الالتزام و

المحافظة. (زكى الناشف، لاتا، ١٢)

يمكن تقسيم الشباب تبعاً لتأثيرهم بوسائل العولمة التكنولوجية الى ثلاث فئات (المرجع السابق، ١٣) هي:

(١) الشباب المتمكن اهله اقتصادياً و القادر على توفير فرص تعلم جيدة له، و اجهزة تكنولوجية يتدرب عليها و يعمل من خلالها، فهو يجيد استخدامها بمهارة فائقة، مما يسهل له توفير فرص عمل مختلفة. و لا يتاثر هولاء الشباب بما تبثه هذه الاجهزة بما فيها القنوات الفضائية و الانترنت من افكار و احداث و ذكر لاقتراب نمط حياتهم منها و لظهور ازدواجية القيم الشرقية و الغربية على سلوكياتهم مثل نوعية سياراتهم و موسيقاهم و الافلام التى يشاهدونها و علاقاتهم بالديهم و اسرتهم من حيث استقلايتهم عنها فى الكثير من الامور، و غالباً لا تبدى هذه الفئة من الشباب اية اهتمامات سياسية، فلا تهزها الاحداث السياسية و لا تعنيها.

(٢) الفئة الثانية من الشباب فيبدو أنها اقل استقلالية عن اسرها، بمعنى انها اكثر التزاماً بعائلاتها و التصاقاً، و تشمل الشباب القادر اهله على تعليمه فى الريف و الحضر، و لكنها محدودة العطاء و لا تزود ابناءها بمهارات اضافية تساعدهم فى الولوج الى سوق العمل.

و يبرز اثر العولمة و شيوع قيمها فى أن هذه الفئة تقلد الأولى فى سلوكياتها اولاً و ما تشاهده على القنوات الفضائية ثانياً و يساهم ذلك فى زعزعة بعض عوامل ثقافتهم. اما تأثر هولاء الشباب بالانترنت فهو قليل لان استخدامها يشكل عبئاً مالياً عليهم.

و بين هذا و ذاك و بين الاصلالة و معاصرة، يتأرجح الشباب و يحاول ايجاد التوازن بين قيم الاجداد و تراثهم و بالرغم من ذلك، فان الحس الوطنى لدى هذه الفئة عالياً فالتصاقه بهموم امة و وطنه واضحاً جلياً فى ما يظهره من تعاطف باشكال مختلفة و يبقى شباب هذه الفئة القوة الفاعلة فى منظمات المجتمعات المختلفة مثل منظمات حقوق الانسان و الجمعيات المختلفة و هم الاهم فى المحافظة على التراث الثقافى.

(٣) هذه الفئة الاكثر فقراً و الخارجة من المناطق الفقيرة و تمثل شباباً غير متعلم او بدرجة تعلم متدنية، كاتوجيهى او اقل. و احتكاك هولاء بالتكنولوجيا قليل جداً بسبب عدم تمكنهم مادياً، فتطلعاتهم و آمالهم مستحيلة و طموحهم و قدراتهم عاجزة يسرقون الثقافة الدخيلة عبر الاعلام المرئى او المسموع، اذا اتاحت لهم الفرصة لذلك.

و هم اكثر فئة الشباب ممارسة لاشكال العنف المختلفة بما فيها عمليات الاغتصاب و السرقة و الانحراف بكافة اشكاله، بما فيها تناول المخدرات و الافلام الاباحية المخلة بالآداب.

كيف يمكننا ان نتعلم؟

العولمة ليست فلسفة محدودة او ثقافة ضيقة او مذهباً اقتصادياً محصوراً او قناة تلفازية ذات اتجاه واحد. العولمة، ظاهرة عالمية كونية شاملة، تغمر كرتنا الارضية و هي اكبر حقيقة واقعية في عصرنا الراهن في ظل ثورة احالت الكرة الارضية الى كرة من المعلومات تدور في الاتجاهات كلها، انّ العولمة غزت الدنيا كلها في السياسة والاقتصاد والاجتماع و التربية و التعليم و الثقافة و الاعلام و الآلات العسكرية.

اذن فلا يمكن ان يدعى عاقل أننا نستطيع ان نضع الامة الاسلامية في علبة و نغلق عليها الباب. و حتى اذا استطعنا فانّ هذا ليس في صالحنا و لاصالح اجيالنا القادمة و لا في صالح بناء حضارتنا الاسلامية الجديدة و لا في صالح البشرية التي تنتظر منقداً مقدم اليها القيم الفاضلة و الاخلاق النبيلة و الاخوة الانسانية الحقيقية، التي تربط بين البشر جميعاً. انّ العولمة ليست قدراً محتوماً لا يمكن الخلاص منه و لا قانوناً تاريخياً تخضع له كل الشعوب، فالتاريخ ليس مجرد قانون موضوعي إنما يتعامل هذا القانون مع حرية الافراد و عمل الجماعات، فالعولمة هي جزء من جدل التاريخ و انّ احد اطراف الصراع له خصوصية و ارادته الوطنية المستقلة و قرارة المستقل.

يرى بعض الباحثين، دوراً مركزياً للتربية و التعليم التي خصّها و خصّ الدراسات المتعلقة بها المؤتمرات العالمية التي شهدتها بنقاش موسع و يقولون بانّ اعادة تربية الانسان و صياغته هي المدخل الاساسي لعصر العولمة و مؤكداً على انّ الدّخول الى عصر العولمة يجب ان يكون لايعنى التخلي عن مكوناتنا الدينية و الثقافيّة و الاجتماعية و بهذا فاننا كمسلمين نضيف بتعولمنا شيئاً الى العولمة و لا ننسخها كما هي. الاضافة التي بإمكاننا تقديمها هنا، هي: المورث الانساني الذي يمكن ان يسهم في رقد عصر العولمة باحتياجاته الانسانية، التي من دونها يصبح عصر العولمة آلياً لا روح فيه. (حارب. ٢٠٠٠، ١٦)

النتيجة

انّ مصطلح العولمة منشأه غربى و طبيعته غربية و القصد منه تعميم فكره و ثقافته و منتوجاته على العالم، هي ليست نتيجة تفاعلات حضارات غربية و شرقية، بل هي سيطرة قطب واحد على العالم ينشر فكره و ثقافته مستخدمة قوة الرأسمالى الغربى لخدمة مصالحه، و لكن ليست العولمة قدراً محتوماً لا يمكن الخلاص منه ولا قانوناً تاريخياً تخضع له كل الشعوب.

ومن جانب آخر العولمة ليست شرّاً مطلقاً و لا خيراً مطلقاً بل هي سلاح ذو حدين، لها ايجابيات كما بها سلبيات و الامة التي تعرف كيف تستفيد منها دون ان تملس بقيمتها الاصلية تكون اكثر قوة من غيرها. اذن استمرار الامة يتطلب الانفتاح على العلوم و التكنو لوجيا العالمية و توسيع مجال الابداع و تبادل الخيرات مع الغير، مع تمجيد الاخلاق و الثقافة الذاتية و احياء التراث الذى يميّز شخصية الامة و يحفظ هويتها.

المصادر والمراجع

- ١- ابو زعرور، محمد سعيد، ١٩٩٨، العولمة، عمان، الاردن، ط ١.
- ٢- الاسد، ناصر الدين، ١٩٩٧، الهوية والعولمة، كتاب: ندوة العولمة و الهوية اكااديمية المملكة المغربية، الرباط.
- ٣- امين، جلال، ١٩٩٨، العولمة، سلسلة اقرء، عدد (٤٣٦)، دارالمعارف، القاهرة، ط ٢.
- ٤- البكرى، اياد شاكر، ٢٠٠٠ م، حرب المحطات الفضائية، دارالشروق، عمان، ط ١.
- ٥- بن نبى، مالك، ١٩٦٩، شروط النهضة، ترجمة عمر مستعاوى وعبد الصبور شاهين، دارالفكر، بيروت، ط ١.
- ٦- بيجوفيتش، على عزت، ١٩٩٤، الاسلام بين الشرق والغرب، مؤسسة بافاريا للنشر و الخدمات، الكويت، ط ١.
- ٧- الجابرى محمد عابد، ١٩٩٧، قضايا فى الفكر العربى المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- ٨- الجميل، سيار، ٢٠٠٠ م، العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير من اجل العرب والمسلمين فى القرن الحادى والعشرين، الاهلية للنشر، عمان، ط ١.
- ٩- الجميل، سيار، ١٩٩٧، العمولة الجديدة والمجال الحيوى للمشرق الاوسط (مفاهيم عصر قادم)، بيروت، ط ١.
- ١٠- حارب، سعيد، ٢٠٠٠ م، الثقافة والعولمة، دارالكتاب، الجامعى - العين - الامارات العربية المتحدة، ط ١.

- ١١- الحمد، تركي، ١٩٩٩، الثقافة العربية في عصر العولمة، دارالساقى، بيروت، ط ١.
- ١٢- حوات، محمدعلى، ٢٠٠٢، العرب و العولمة...شجون الحاضر و غموض المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- ١٣- الخضيرى، محسن احمد، ٢٠٠١، العولمة الاجتياحية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، مصر.
- ١٤- الزعبي، هانى، ١٩٨٢، مسألة البنية التحتية للقضية القومية واتجاه قانون القيمة فى العالم العربى، مطابع الكرميل الحديث، بيروت.
- ١٥- سلامة، احمد، ١٩٩٩، العولمة والعروبة من الصراع الى الامل، عمان، دائرة المكتبية الوطنية.
- ١٦- شومان، نعيمة، ١٩٩٨، العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١.
- ١٧- عبيدات، ذوقان، ٢٠٠٠، شبابنا... اين نحن من العولمة ؟ وزارة الشباب والرياضية، عمان.
- ١٨- غارودى، روجية، ١٩٩٩، امريكا طبيعة الانحطاط، تعريب عمرو زهيرى، دارالشروق، القاهرة.
- ١٩- غليون، برهان، ١٩٩٩، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دارالفكر المعاصر، بيروت، ط ١.
- ٢٠- كامل بهاءالدين، حسين، (لاتا)، الوطنية فى عالم بلاهوية، دارالمعارف، مصر.
- ٢١- المبروك، محمد ابراهيم، ١٩٩٩، الاسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة.
- ٢٢- مجاهد، حورية توفيق، ٢٠٠٢، الاستعمار كظاهرة عالمية، حول الاستعمار والامبريالية والتبعية، عالم الكتب، القاهرة.
- ٢٣- المسيرى، عبدالوهاب، ١٩٩٧، نهاية التاريخ وصراع الحضارات (ضمن مجموعة كتاب، صراع حضارات ام حوار ثقافات)، منشورات منظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية، القاهرة.
- ٢٤- يسين، السيد وزملوه، ١٩٩٨، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

المجلات:

- ١- احمد الفاوى، عبدالفتاح، الثقافة العربية فى عصر العولمة، مجلة الاهرام، العدد(٢٢)، ٢٠٠١.
- ٢- الجابرى، محمد عابد، العولمة و الهوية الثقافية، المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.العدد(٢٢٨)، ١٩٩٨.
- ٣- خصاونة، سامى، مؤتمر الاستشراق: حوار الثقافات، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٢.
- ٤- زكى الناشف، سلمى، العولمة والثقافة.. اين نحن منها، الجمعية الاردنية للبحث العلمى، عمان، لاتا.
- ٥- شاهين عبدالصبور، العولمة جريمة تزويب الاصاله، مجلة المعرفة العدد(٤٨).
- ٦- صبرى، اسماعيل، الكوكبة، الرسمالية العالمية فى مرحلة مابعد الامبريالية، مجلة الطريق اللبنانية، بيروت، العدد(٤)، ١٩٩٧.
- ٧- عبدالجواد، ياسر، مقاربتان عربيتان للعولمة، المستقبل العربى، العدد(٢٥٢) شباط ٢٠٠٠.
- ٨- القرضاوى، يوسف، خطابنا الاسلامى فى عصر العولمة، مجلة الدعوة السعودية، العدد (١٩٢٧).

العولمة و تهافتها الثقافية

٢٠٣

موقع الانترنت:

- زمام، نورالدين، عولمة الثقافة الممكن والمتسحيل، ٢٠٠٩، فى موقع الانترنت: www.aljabriabed.net